



المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

## "وَادِي الْمَغْطَى"

فضاء مَفْتُوح للتَغْيِيب المَضَاعِف:  
قِصَّة مَهَاجِرِينَ عَالِقِينَ وَمَنْبُودِينَ



جويلية 2023



المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

## "وَادِي الْمَغْطَى"

فضاء مَفْتُوح للتَّغْيِيب المَضَاعَف:

قِصَّة مُهَاجِرِينَ عَالِقِينَ وَمَنْبُودِينَ

خالد الطباي

تدقيق لغوي: رضا كارم

عمل ميداني: أماني بوصلاحي - مهدي كرامتي

جويلية 2023

## الفهرس

05 ص	..... مقدمة
	الفصل الأول: تقديم العينة المستجوبة بوادي
12 ص	..... المغطى
	الفصل الثاني: زمن الوصول وطرق العبور،
19 ص	..... عوامل الطرد ووجهة المهاجرين
	الفصل الثالث: وادي المغطى: مركز للاحتجاز
31 ص	..... وفضاء للتغيب المضعف
68 ص	..... خاتمة

## مقدمة

على طول الوادي وبين مرتفعات الجبال، تحت النخيل وحجر الجبال وبالقرب من بركة المياه الملوثة، هنا وهناك وفي كل مكان، تحت الشمس والضلال لن يرى المرء سوى المأساة. من زار الوادي خلال تلك الأيام<sup>1</sup> سيشاهد الجروح والالام، سيرى رُضعا وأطفالا كُتِبَ عليهم الشقاء والحرمان، كما ستلاحظ عيناه نسوة خائفات ومستضعفات، وبين كل هؤلاء سيكتشف بأن المكان مجرى للمياه ومرتعٌ للحشرات. وبعد أن يستوعب المرء ما شاهدته عيناه سيخلص إلى القول إن هذه الفئات هم أناس ضاق بهم الحال، فحاولوا اجتياز الحد الفاصل ولكن الحدود قتلت الأحلام ودمرت الإنسان وصارت رمزا للهيمنة والاستبداد.

وإذا استعرنا من الفرنسي بول فينياي دوكتورون: "أيها المحتجزون في وادي المَعطَى اتركوا آمالكم خارج الباب". فبين أبناء الجلدة الواحدة، جلدة الافارقة لم تعد الحدود البرية حرية، فالمكان محاصر بين جحيمين: "القوات الأمنية التونسية أمامكم والدرك الجزائري وراءكم." وفي سياق الحصار وانتظار المساعدات، تمت استباحة كرامة الإنسان، فالمهاجرون

---

<sup>1</sup> اي من يوم 5 جويلية الى 12 جويلية 2023

محاصرون، عالقون ومنبوذون جالسون في "غرفة انتظار التاريخ".

في وسط كل هذا الألم، لن يرى المرء في وجوههم مطافئ الحزن الكبير وهي الدموع، بل وكأنهم يخاطبون بعضهم بعبارة "ناظم حكمت": "الحياة جميلة يا صاحبي"، حيث ندّدت حناجر البعض منهم مردّدة في وادي المغطى: "حرروا الحدود- حرروا الحدود Libérer les frontières". فهم ليسوا قطيعاً أو رُعاءً أو حيوانات، هم أناس مكافحون ضد هيمنة الاستبداد، لهم توق الوصول إلى الحرية والمساواة.

في هذا الإطار تحاول هذه الورقة الإجابة عن بعض التساؤلات المتعلقة بتشكيل الفضاء، وملامح المهاجرين وأسباب هجرتهم وقصص معاناتهم ونبذهم وغيرها من الأسئلة التي حاولنا قدر الإمكان أن نجيب عنها بموضوعية. والموضوعية هي أن يلعب الباحث ذاتيته منذ البداية على حد قول عالم الاجتماع السويدي جونار ميردال Gunnar Myrdal.<sup>2</sup> لذلك فنحن لانقف في مفترق الطرقات، بل نعدّل البوصلة باتجاه الطريق المؤدية إلى الحرية،

---

<sup>2</sup>- قستومي، (المولدي)، قواعد لغة علم الاجتماع في مدونة المؤرخ الهادي التيمومي، تقديم: فتحي لبيسر، دار نقوش عربية، تونس، 2019، ص 32.

طريق المعرفة والنضالية ضد الحدود التمييزية التي لم تنتج سوى القصص الإنسانية الأليمة والتراجيدية.

## - السياق السياسي والأمني والمجتمعي للدراسة

بعد سنة 2011، بينت دراسات عديدة أن المهاجرين أصيلي جنوب الصحراء يتعرضون إلى عديد الممارسات العنصرية على الأراضي التونسية وبالتالي فإن هذه القضية ليست بالمسألة الجديدة، فلئن كانت ليبيا الجحيم المعلن للمهاجرين إليها، فإن تونس هي الجحيم المخفي.

منذ موفى سنة 2022 تقريبا تعالت أصوات العنصرية، وقد استضافت وسائل إعلامية عديدة نشطاء من "الحزب القومي التونسي" صاحب نظرية "الأجضية" و"التوطين"، معتبرين أن الهجرة هي قضية أمنية وتمكن هذا الحزب من صناعة المئات أو الآلاف من الذين يعانون رهاب المهاجرين.

عبد الحزب القومي التونسي الطريق نحو تنامي أصوات العنصرية إلى أن جاءت القشة التي قسمت ظهر البعير، وهو البيان الرئاسي الصادر يوم 21 فيفري 2023 والذي اعتبر أن الهجرة تهدد التركيبة الديموغرافية وأن ما يحدث هو تهديد للسيادة الوطنية وللدولة التونسية. وهكذا ارتكزت السلطة

السياسية على مقارنة أمانة الهجرة<sup>3</sup> ومنذ ذلك الحين بدأ الخناق، حيث توجهت السلطات الأمنية إلى العديد من التجار والحرفيين ومالكي الديار، وفرضت عليهم عدم تشغيل المهاجرين بطريقة غير نظامية وعدم تمكينهم من كراء الشقق والمنازل، وصار صعود المهاجرين غير النظاميين في وسائل النقل العمومي أمراً محظوراً، مع العلم أن أكثر من 50% من الناتج القومي الإجمالي التونسي هو من الاقتصاد غير المهيكل.

قامت النخب السياسية بدغدغة المشاعر الجماعية للتونسيين والتونسيات، وصار العديد من المواطنين يتبنون أطروحة مفادها أن المهاجرين يمثلون تهديداً لسلامتهم وهويتهم، ويشكلون أزمة اقتصادية وصحية ومجتمعية وثقافية ودينية، وهكذا ارتفعت أصوات العنصرية وعبدت الطريق نحو اندلاع أحداث عنف مأساوية بمدينة صفاقس والتي تعتبر أحد البؤر الهجرية، وانتهت هذه الأحداث بإسالة دماء العديد من أبناء القارة الواحدة وانتهت بمقتل شاب تونسي في صفاقس يوم 3 جويلية 2023. ومنذ ذلك الحين تم تفرغ المدن من المهاجرين ليتم بعد ذلك اقرار ترحيلهم إلى في الأطراف: على الحدود وفي الصحراء.

---

<sup>3</sup>- لمزيد القراءة حول مقارنة أمانة الهجرة، يمكن للقارئ العودة إلى التقرير السنوي للهجرة 2021.

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، 2022.

وفي هذه السياقات الأليمة شاركنا مثل العديد من المواطنين في الحملات الإنسانية وتقديم يد المساعدة للمهاجرين العالقين في الحدود التونسية الجزائرية، ومن جهة أخرى جاءت الفكرة لكتابة ورقة تاريخية وسياسية وصفية لما عاشه المهاجرون من كدّ وعناء، ولكن أثناء الكتابة ارتطمنا بالمعوقات، فأخذ الشهادات والصور وملء الاستثمارات والوصول إلى استنطاقات ميدانية أمر صعب باعتبار الإجراءات الأمنية التي غالباً ما تمنع الوصول إلى تدوين الشهادات والأحداث على عين المكان، ولكن بطرقنا الخاصة تمكنا من جمع مادة بسيطة، ثرية ونسبية نحاول من خلالها وصف الأوضاع والظروف والمأساة بوادي المغطى، مع العلم أن كتابة التاريخ الحيني هو أمر ليس باليسير، لذا فإن هذه الورقة تظل مفتوحة للجدل والنقاش رغم حرصنا على أن كل المعطيات موضوع الوصف هي بيانات ميدانية وموضوعية، ومن خلالها يمكن للباحثين والباحثات تقديم النقد والإضافات.

### - منهجية الدراسة

في الحقيقة لم نركز بكل الرصانة العلمية على الأعراف والتقاليد السوسولوجية أثناء البحث، والتي تتمثل أساساً في الحالة البحثية وصياغة الإشكالية المركزية وطرح الفرضية بروح الرصانة الإبتيمولوجية، فهذه الورقة هي ورقة وصفية ومحاولة

لتدوين التاريخ وورقة سياسية، ومع هذا لم تغب التقنيات الأساسية لجمع المادة المعرفية وتحليلها وتفسيرها.

### - معالجة البيانات الكمية: عينات كرة الثلج

لما قررنا العمل الميداني لم نكن نعرف جيدا عدد المهاجرين وأصولهم ومعدل أعمارهم، ولم تكن لنا معرفة بملامحهم الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وتمثلاتهم ووجهاتهم وأسباب هجرتهم. لذا فقد حددنا أسئلة تحاول معرفة ملامحهم ومعاناتهم وتقييمهم للسلطة وللمنظمات وللوكالات الدولية وطرق عبورهم ووضعيتهم الصحية ووجهاتهم وأسباب هجرتهم وغيرها من الأسئلة التي تحاول جمع مادة معرفية يتم استنطاقها من الأبحاث الميدانية. ومنذ البداية اعتمدنا على طريقة « كرة الثلج Boule de neige » وهي طريقة يتم استخدامها حينما يواجه الباحث صعوبة في تحديد أعضاء المجتمع المرغوب دراسته والتي تبدأ بعينة صغيرة ثم يحاول الباحث توسيعها عن طريق المقترحات التي يقدمها الذين تم استجوابهم إذا كان بالإمكان تعيين أو اقتراح أشخاص آخرين لإجراء ملء الاستبيانات معهم.

### - معالجة البيانات الكيفية

لم نعتمد في هذه الدراسة على إجراء دليل مقابلة مسبق، ولم نعتمد على تقنية محددة مثل تقنية المحادثة نصف الموجهة.

نظرا للظروف الأمنية بوادي المغطى فقد اعتمدنا على جمع شهادات مع مهاجرين محتجزين بوادي المغطى وذلك من خلال الحوارات العفوية ومن خلال تقنية الملاحظة المباشرة أثناء توزيع المساعدات وملء الاستبيانات، كما قمنا بتجميع بعض المعطيات التي تلقاها مجموعة من المواطنين الذين زاروا المكان وقدموا المساعدات.

### - المهاجرون المحتجزون في وادي المغطى: عددهم وجنسياتهم

تقريبا ومن خلال البحث الميداني وبعض المصادر يتبين أن المهاجرين المحتجزين بوادي المغطى هم من الجنسيات والدول التالية:

نيجيريا- غينيا- مالي - ساحل العاج- السودان- سيراليون- الكاميرون- بوركينا فاسو- غينيا كوناكري- غامبيا.

ويبلغ عددهم بوادي المغطى حوالي 160 مهاجرا من بينهم حوالي 13 أو 14 امرأة و9 أو 10 أطفال.

الفصل الأول:

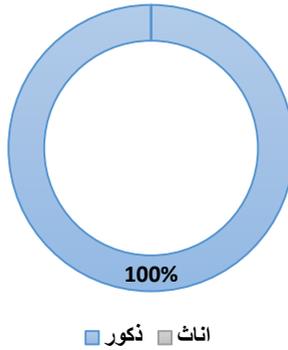
# تقديم العينة المستجوبة بواديه المغطى

## أولاً: الملامح العامة للعيينة المستجوبة

من مجموع 160 مهاجراً في وادي المغطي تم توزيع وملاء 53 استبياناً أي بنسبة 33.12% من مجموعة المهاجرين المحتجزين بوادي المغطي.

### (1) الجندر

الشكل عدد 1: توزيع أفراد العينة حسب الجندر



- لماذا 100% من أفراد العينة من جنس الذكور؟

الأربعاء الموافق لـ 12 جويلية 2023، وعلى حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحاً، انطلقنا في توزيع المساعدات وملاء الاستبيانات بطريقة سريعة تحسباً للقرارات الأمنية. ومنذ الدخول إلى وادي المغطي التقينا بالمهاجرين أصلي دولة

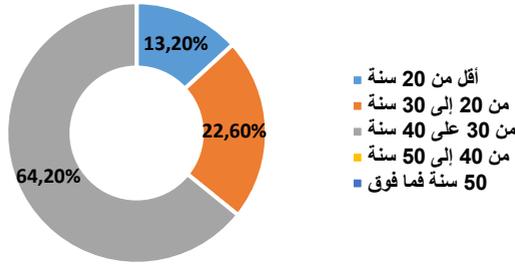
السودان، وينحدر كل السودانيين هناك من جنس الذكور وهكذا فإن أولى الاستثمارات تمت مع مواطنين سودانيين وعددهم 26 مهاجرا. ثم وفي التنقل إلى نقاط أخرى يجتمع فيها المهاجرين بوادي المغطى لم نجد في تلك اللحظة سوى الذكور يتنقلون لأخذ المساعدات. وفي ظرفية يعيش فيها المهاجرون على وقع مشاعر من الخوف يبدو أن النساء وخاصة الأمهات يتجنبن الأماكن المكتظة بالبشر ويتبعدن كثيرا عن التجمعات أو الصفوف التي يتم تنظيمها أثناء تقديم المساعدات، وغالبا ما يتكفل الذكور بمهمة أخذ المساعدات، ربما لأن النساء إما يكتفين بالبقاء مع أطفالهن ويحرصن على تجنبهم حرارة الشمس أو ربما لتنامي مشاعر الخوف.

من جهة أخرى يتضح لأي شخص يزور هذا الفضاء أن هناك تفاوتاً كمياً وواضحاً بين الجندين، فمن مجموع 160 مهاجرا نجد فقط حوالي 13 أو 14 امرأة و9 أو 10 أطفال. وبعد أن وصل عدد الاستثمارات التي ملؤها إلى 53 استبياناً، أوقفت القوات الأمنية عملية ملء الاستبيانات. وهكذا لم تعد هناك فرصة للتوجه إلى أماكن النساء، ولكن تمكنا بعد ذلك وبطريقتنا الخاصة من الاستماع إلى شهادة امرأتين كانا بطريقة سريعة ووجيزة.

## (2) توزيع العينة حسب الفئة العمرية

من الوهلة الأولى، ومنذ دخول المرء إلى وادي المغطى سيلاحظ بالعين المجردة أن هذا المكان هو فضاء شاب، ولكن هذا لا يعني عدم وجود القاصرين أو الأطفال.

الشكل عدد 2: توزيع أفراد العينة حسب الفئات العمرية



## (3) توزيع العينة حسب الحالة المدنية

باعتبار أنّ أغلب أفراد العينة هم من فئة الشباب، وباعتبار أن العديد من الدول الإفريقية تعاني من الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فمن الطبيعي والمنطقي أن يكون أغلب أفراد العينة من العزاب دون المتزوجين أو المطلقين.

جدول عدد 1: الحالة المدنية للعينة المستجوبة

مطلق	متزوج	أعزب
%1,9	%15,1	%83

من جهة أخرى أردنا معرفة هل أن تواجدهم في وادي المغطى وهجرتهم كانت عائلية أم فردية، وهذا ما بينته نتائج البحث الكمية.

جدول عدد2: مهاجرون منحصرون مع عائلاتهم أم فرادى بوادي المغطى وحسب العينة المستجوبة (%)

المهاجرون بمفردهم بوادي المغطى	94,3%
المهاجرون رفقة عائلاتهم	5,7%
المجموع 100%	

#### 4) توزيع العينة حسب المستوى التعليمي

جدول عدد3: أفراد العينة حسب المستوى التعليمي

لا شيء	ابتدائي	ثانوي	جامعي
1,9%	37,7%	45,3%	15,1%

يتضح من الجدول أعلاه أنّ المستويات التعليمية للمهاجرين متنوعة، وأغليهم غير أميين وهذا ما يدحض الفكرة التي تروج لها أغلب التيارات المعادية للمهاجرين والقائلة بأن أغلب المهاجرين الأفارقة هم أناس غير متعلمين، بل على العكس من ذلك ومن خلال شبكة الملاحظات والمقابلات العفوية يتبين أن

المهاجرون متمكنون من القراءة والكتابة، وهم واعون أيضا بقضية حق التنقل وحرية، أي بالمسائل القانونية والحقوقية.

## 5) أفراد العينة حسب الجنسيات

يتوزع أفراد عينة البحث حسب الجنسيات التالية:

جدول عدد 4: توزيع أفراد العينة حسب الجنسيات

الجنسية-	السودانية (السودان)	السيراليونية (السيراليون)	الإفوارية ساحل العاج	النيجيرية (نيجيريا)	بوركينابي (بوركينافاسو)	المالية (مالي)	الغامبية (غامبيا)	غينيا (غينيا كوناكري)
عدد أفراد العينة	26	4	1	1	9	3	4	5
المجموع	53							

## 6) الخصائص الاجتماعية لأفراد العينة

جدول عدد 5: المهنة في موطن النشأة حسب أفراد العينة

المهنة	النسبة مئوية (%)
عاطل عن العمل	37.8%
عامل يومي	35.8%
حرفي	13.2%
طالب	7.5%
تاجر	3.8%
لاعب كرة قدم (رياضي)	1%
المجموع	100%

تبين النسب المئوية المذكورة أعلاه أن غالبية المهاجرين المحتجزين في وادي المغطى هم من فئات اجتماعية هشة وفقيرة، وهنا نرصد بعض التقاطعات مع المهاجرين التونسيين بطريقة غير نظامية. فعلى ما يبدو أن العاطلين عن العمل أو العمال اليوميين وغير المهيكليين والذين يشتغلون تشغيلاً هشاً سواء كانوا تونسيين أو من جنسيات إفريقية أخرى هم أكثر الفئات المقبلين على رحلات الهجرة غير النظامية. وهكذا فإن العوامل الاجتماعية والاقتصادية تظل أحد محركات التدفقات الهجرية.

(7) في وادي المغطى: مهاجرون نظاميون أم غير نظاميون؟

وفقاً للعينة المستجوبة، لا أحد من المهاجرين زاول تعليمه الجامعي أو تربصه المهني في تونس، وأن 9,6% فقط ممن كانت لهم وثائق وانتهت صلاحيتها في حين لا يوجد أي شخص يمتلك وثيقة لجوء، باستثناء شخص وحيد أجرينا معه حواراً وبين لنا وثيقة اللجوء الخاصة به، لذلك يمكن القول إن فضاء وادي المغطى هو فضاء يغلب عليه المهاجرون غير النظاميين.

الفصل الثاني:

# زمن الوصول وطرق العبور، عوامل الطرد ووجهة المهاجرين

## أولاً: سنوات الوصول، طرق العبور وعملية الاستقبال

### 1) زمن الوصول إلى تونس

جدول عدد 6: سنوات دخول المهاجرين للتراب حسب أفراد العينة

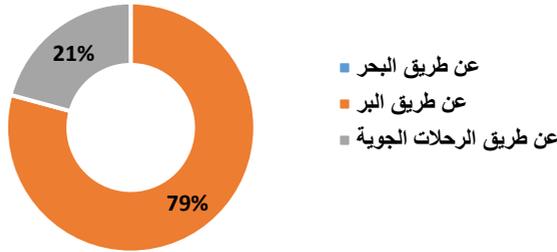
السنة	2019	2020	2021	2022	2023
عدد الواصلين للتراب التونسي حسب أفراد العينة	1	5	2	4	41
المجموع	53				

من خلال سنة الدخول إلى التراب التونسي يتضح أن أغلبهم وصلوا تونس سنة 2023 ويعود هذا في المقام الأول إلى أن عملية البحث الميداني الكمي انطلقت مع الجنسيات السودانية وعددهم 26 مهاجرا وصلوا إلى تونس تقريبا خلال الأيام الأخيرة من شهر جوان أو مطلع جويلية 2023. من جهة أخرى يبدو أن شبكات التهجير تلعب أدوارا مهمة في عملية استقطاب المهاجرين، فهذه الشبكات وخاصة منها الشبكات العابرة للقارات لها فلسفتها الخاصة وتنظيمها المحكم ولها حرفتها في قراءة الأوضاع السياسية والمناخية والأمنية. فمرة تستقطب عبر دول البلقان، ومرة أخرى عبر ليبيا، وأطوارا أخرى عبر المغرب-مليية، وأحيانا تونس ثم إنجلترا وصولا إلى فرنسا وأحيانا أخرى تكون تونس هي نقطة

العبور. ويبدو أن الامطار وخاصة في فصل الشتاء قد تقلصت خلال السنوات الأخيرة في تونس، وبالتالي بات العامل المناخي يشجع على الهجرة عبر البحر. كما أن ليبيا صارت جحيما فوق الأرض، وتم فرض التأشيرات عبر صربيا، ومن جهة أخرى صار الوصول إلى منطقة مليلية الإسبانية عبر المغرب أمرا صعبا نظرا للتشدد الأمني. كما وجب أن لا نغفل أمرا لافتا للانتباه وهي أن دولة الجزائر صارت تصدر أزمة الهجرة نحو تونس وهذا ما سنبينه لاحقا. ولكن يظل السؤال المفتوح هو كيف يدخلون التراب التونسي؟ وما هي طرق العبور ودوله؟

## (2) كيفية الدخول إلى تونس ودول العبور

الشكل عدد 3: طرق الدخول إلى تونس حسب العينة المستجوبة



بينت نتائج العمل الميداني أنّ غالبية المهاجرين بوادي المغطى قادمون عن طريق البر، فنسبة الداخلين إلى التراب التونسي عبر الجو لا تمثل سوى 20,8% من أفراد العينة. أما

الواصلين عبر البر تصل نسبتهم إلى 79% أي بمعدل 42 مهاجرا دخلوا تونس عبر البر. وفي هذا الإطار حاولنا البحث عن المعابر والدول التي يجتازونها للوصول إلى تونس.

مؤطر عدد 1: الدول والمعابر التي يجتازها المهاجرون للوصول إلى

تونس حسب العينة المستجوبة

- 1) المهاجرون من السودان: ينطلقون من السودان- التشاد- النيجر- الجزائر- تونس. وعددهم 26 مهاجرا حسب العينة المستجوبة. ووفقا لهم دامت رحلتهم قرابة ثلاثة أشهر.
  - 2) المهاجرون من غامبيا: تبدأ رحلتهم من غامبيا- السنغال- موريتانيا- الجزائر- تونس وحسب أفراد العينة عددهم 4 مهاجرين.
  - 3) المهاجرون من السيراليون: غينيا- مالي- النيجر- الجزائر ثم تونس وحسب عينة البحث هناك مهاجر واحد سيراليوني وصل إلى تونس عبر البر.
  - 4) المهاجرون من ساحل العاليج: تنطلق هجرتهم من موطنهم مرورا ببوركينا فاسو ثم الجزائر وصولا إلى تونس وعددهم مهاجروا واحد وفقا لعينة الدراسة.
  - 5) المهاجرون من بوركينا فاسو: مهاجرون دولتهم ثم مالي وبعدها الجزائر ثم تونس وعددهم خمسة مهاجرين حسب نتائج الدراسة.
  - 6) المهاجرون أصيلو مالي: 3 مهاجرين ماليين وصلوا إلى تونس براً وطريقهم هو مالي- الجزائر- تونس.
  - 7) المهاجرون من غينيا: ينطلقون من غينيا- مالي- الجزائر- تونس وهما فقط مهاجران اثنان وفقا لعينة البحث.
- أما القادمون عن طريق الرحلات الجوية فإما أن تكون هناك رحلات مباشرة من موطنهم نحو أحد المطارات التونسية أو يكون هناك فترة استراحة في إحدى الدول وتغيير الطائرة مثل بوركينا فاسو- ساحل العاليج- تونس أو السيراليون- غينيا- تونس.

### 3) عملية استقبال المهاجرين أثناء وصولهم إلى تونس

حين الدخول إلى الأراضي التونسية سواء كان عبر البر أو الجو ستستقبل السلطات هؤلاء المهاجرين، فكيف يقيم المهاجرين عملية الاستقبال.

جدول عدد 6: تقييم المهاجرين لعملية استقبالهم

كيف تقيم عملية استقبالك في تونس؟	
3,8%	جيد جدا
58,5%	جيد
34%	غير جيد
3,8%	عند دخولي كان جيدا والآن غير جيد

يبدو أن الواصلين إلى تونس وخاصة أولئك الذين وصلوا بطرق غير نظامية تكون عملية استقبالهم غير جيدة، ولكن في وادي المغطى يؤكد المهاجرون أصيلي السودان على أن استقبالهم كان جيدا، فبالمقارنة مع السلطات والدرك الجزائري فإن المعاملات من قبل السلطات التونسية ستكون أفضل أثناء الاستقبال.

### ثانيا: أسباب الهجرة ووجهة المهاجرين أثناء الوصول

لئن وضحنا أعلاه بأن الخصائص الاجتماعية من أفراد العينة المستجوبة هم من فئات هشّة ومسحوقة، وتعتبر هذه

الفئات الاجتماعية الأكثر خوفا لغمار المتوسط سواء كانوا تونسيين أو من جنسيات إفريقية أخرى، فهل هذا يعني أن التونسيين والجنسيات الإفريقية الأخرى تحركهم العوامل نفسها طاردة كانت أو مشجعة على الهجرة؟

جدول عدد 7: أسباب الهجرة حسب أفراد العينة

النسبة المئوية (%)	أسباب الهجرة
52%	الحروب
28.2%	الظروف الاقتصادية والاجتماعية
11.3%	الاضطرابات السياسية
3.8%	المناخ
1%	أسباب صحية
1%	الولوع إلى الحرية
المجموع 100%	

قبل قراءة البيانات أعلاه وجبت الإشارة إلى أن السياسات الهجرةية للاتحاد الأوروبي تغذي تدفق الموجات الهجرةية بطريقة غير نظامية. فقد بينت نتائج الدراسة أن 11,3% من العينة المستجوبة تقدموا بطلبات تأشيرة لإحدى الدول الأوروبية ورُفضت، أما 88% الذين لم يقدموا طلبات فهم مثل أغلب التونسيين الذين فقدوا الأمل وباتوا يعتبرون أن الحصول على

تأشيرة هو أمر شبه مستحيل خاصة بالنسبة إلى الفئات الهشة والفقيرة.

ووفقا للعيونة المستجوبة فإن الحرب تحتل طليعة عوامل الطرد، ولكن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والاضطرابات السياسية تعمل هي أيضا محفزات للهجرة بطرق نظامية أو غير نظامية. فالشعوب الإفريقية ما زالت تعاني من الظروف الاجتماعية الخائفة، لذلك فإن "النضال من أجل الحرية في إفريقيا هو في الأساس نضال من أجل التحرر من الجوع والمرض والفقير".<sup>4</sup> على حد قول يوليوس نيريري Julius Nyerere الرئيس السابق لتانزانيا.

### 1) الهجرة: فعل اضطراري وليس اختياري

"جننا هنا مشردين بسبب الحرب في السودان، وصلنا إلى تونس بعد حوالي ثلاثة أشهر. وأثناء تلك الرحلة فقدنا 6 أفراد ماتوا بسبب الجوع والعطش، ولم نستطع دفنهم وبقيت جثثهم ملقاة في الصحراء الجزائرية، نحن لم نأت هنا اختياري بل جننا اضطراري"<sup>5</sup>

<sup>4</sup> - سورنسن، (غروغ)، الديمقراطية والتحول الديمقراطي. السيرورات والمأمول في عالم متغير،

ترجمة: عفاف البطاينة، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015، ص 29.

<sup>5</sup> - حوار عفوي مع مهاجر سوداني. 9 جويلية 2023 صباحا بوادي المغطى.

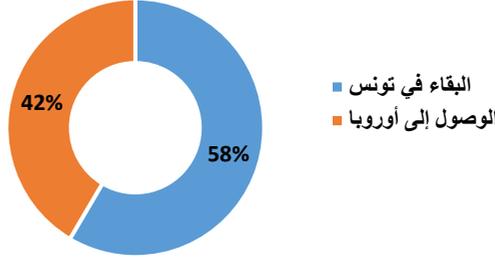
هكذا تكلم أحد السودانيين في وادي المغطى، يتحدث عن جرح غائر أصاب بلده، يتكلم بكل حزن وألم منتظرا لحظة الاستقرار حتى يعود إلى الديار.

تعتبر هذه التدفقات الهجرية أفعالا اضطرارية، فهم مضطرون للهروب من القصف والحرب ومن هيمنة الاستبداد، ولكن في تونس وجدوا أنفسهم داخل الوديان ومحاصرين ما بين الجبال، ويأتي هذا الحصار في وقت انسحبت فيه الوكالات والمنظمات الدولية وخاصة منها تلك المعنية بقضايا اللجوء "المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين".

## (2) وجهة المهاجرين قبل أحداث صفاقس

مروا بالغابات والصحراء، وبعد قطعهم لآلاف الكيلومترات هل يرغب المهاجرون في البقاء في تونس أم أنهم حاملون بالوصول إلى الضفة الشمالية من المتوسط؟

#### الشكل عدد 4: لماذا الدخول إلى تونس حسب أفراد العينة؟



لهذه النسب تفسيراتها المنطقية، فأولا ومن بين 53 إجابة صرح 26 مهاجرا سودانيا أنهم يريدون البقاء في تونس باحثين عن مكان آمن إلى أن تنتهي الحرب، يوضح أحد المهاجرين السودانيين: " نحن نطلب ممن المنظمات أو من الحكومة التونسية أن يضعونا في مكان آمن.... جئنا بسبب الحرب لا بد من أن هناك منظمات تحتويننا إلى أن تنتهي الحرب في السودان".<sup>6</sup>

من جهة أخرى، وعلى سبيل المثال وليس الحصر فإن عدم الاستقرار السياسي والانقلابات تكون أحد عوامل الطرد وتجعل من المهاجرين يبحثون عن مكان آمن. ففي السنة الماضية عاشت دولة بوركينا فاسو على وقع انقلاب يتمثل في استيلاء الجنود على السلطة واطاحتهم بالرئيس " روش كابوري". كما عاشت دولة

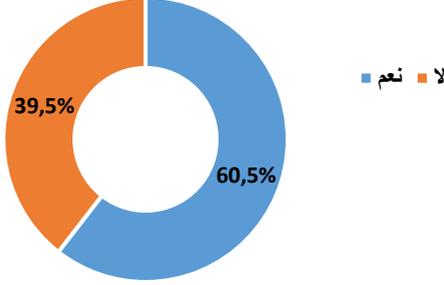
<sup>6</sup>- حوار عفوي مع أحد المهاجرين السودانيين. 9 جويلية 2023 صباحا بوادي المغطس.

غامبيا في ديسمبر 2022 محاولة انقلابية فاشلة تتمثل في أن جنودا من القوات المسلحة الغامبية حاولوا الإطاحة بحكومة الرئيس "آداما بارو". أما في غينيا فقد جرت حادثة انقلابية يوم 5 سبتمبر 2021 والتي أسفرت عن إلقاء القبض على رئيس غينيا "ألفا كوندي" بعد طلق ناري في كوناكري، ليتمكن بعدها وفي اليوم نفسه السياسي والعسكري الغيني "مامادي دومبوي" من الوصول إلى السلطة وحل الحكومة ووقف العمل بالدستور وإغلاق الحدود الغينية.

ومن مجموع 53 مستجوبا نجد 18 مهاجرا من أصول غامبية وغينية ومن بوركينا فاسو، ولنضف إليهم 26 سودانيا، وبالتالي فإن حوالي 83،01% من أفراد العينة هم من بلدان إما تعيش على وقع حروب أو اضطرابات وانقلابات، وهكذا فإن النتيجة تكون منطقية على اعتبار أنّ العديد منهم هم فقط باحثون عن فضاء آمن. ولكن هل ستتغير الوجهة بعد أحداث صفاقس؟ هذا ما سنجيب عنه لاحقا. وحول البحث عن مكان آمن فقد بينت الدراسة أن الراغبين في الحصول على لجوء نسيمهم كالتالي:

الشكل عدد 5: الراغبين في الحصول على لجوء حسب أفراد العينة

هل ترغب في الحصول على الحماية الدولية؟



علاوة على بحثهم عن مكان آمن فإن عديد المهاجرين يصلون إلى تونس دون موارد مادية تلي تكاليف الرحلة الهجرية، لذلك فإن العديد منهم يجعلون من تونس محطة لتجميع تكاليف الرحلة عن طريق العمل وجمع المال استعدادًا لخوض غمار المتوسط.

الفصل الثالث:

وادی المغطے: مرکز للاحتجاز  
وفضاء للتغییب المضاعف

## أولاً: منطقة المغطى: التقسيم الإداري والارتباط العائلي

"المغطى" هي منطقة صغيرة شبيهة بـ "الدوار"، بها خمس عائلات، وتقع هذه المنطقة في قرية "الفريد" من عمادة "عين الكرمة" التابعة لمعمودية "تمغزة" من ولاية "توزر". اقتصاديا تتميز المنطقة بالزراعة وتربية الماشية، كما يمكن اعتبار الشريط الحدودي الممتد من "الفريد" إلى "عين الكرمة" و"الرميثة" و"تمغزة" و"ميداس" طرقا جبلية وحدودية بين تونس والجزائر يسلكها التجار سواء كان ذلك بطريقة نظامية أو غير نظامية أو ما يُعبر عنه بـ "الكنترا"<sup>7</sup>. أما عن وادي المغطى الذي تمت فيه عملية تجميع المهاجرين، فهو واد للمياه يمتد من الجزائر نحو سدّ تمغزة.

وترتبط هذه المنطقة إداريًا بولاية توزر، كما أنّ لهذه القرية الصغيرة "الفريد" لها ارتباطات تاريخية ودموية ومجالية بسكان الرديف وأساسا من عرش "أولاد سيدي عبيد"، إذا رصدنا شبكات القرابة والدم والمصاهرة.

---

<sup>7</sup>- الكنترا هي الكلمة المتداولة في تونس والتي تعني بها التجارة غير المهيكلّة أو غير النظامية والتي تتم عبر الحدود.

## ثانيا: حينما يتحول الوادي إلى مركز احتجاز مفتوح: قراءة وصفية للمجال وللأوضاع

### 1) زمن حجز المهاجرين بوادي المغطى

قبل تحديد وصولهم إلى هذا الفضاء أردنا معرفة أماكن المهاجرين قبل جلبهم إلى وادي المغطى.

جدول عدد 8: الولايات التي كان المهاجرون يتجمعون فيها قبل جلبهم إلى وادي المغطى وفقا للعينة المستجوبة

الولاية	النسبة مئوية
صفاقس	45.3%
قفصة	47.2%
سوسة	5.7%
بن عروس	1.9%
المجموع	100%

يتضح أن غالبية المهاجرين المحتجزين بوادي المغطى وخاصة منهم أولئك الذين قضوا فترات تمتد لأشهر أو سنوات في تونس هم قادمون من مدينة صفاقس، وبخصوص المهاجرين الذين كانوا في ولاية قفصة ومن خلال الشهادات الميدانية يتبين أنهم مهاجرون وصلوا إلى تونس خلال بضعة أيام أو أسابيع من قبل

حادثة صفاقس في مطلع جويلية 2023، حيث دخلوا على الحدود الجزائرية ووضعتهم السلطات أو أوقفتهم في مدينة قفصة.

ليس من اليسير تحديد تاريخ دقيق حول بداية حجز المهاجرين في وادي المغطى، ففي يوم 12 جويلية طرحنا سؤالاً على المستجوبين مفاده: كم لديك من يوم وأنت في وادي المغطى؟ وكانت الإجابات متنوعة ومختلفة بين من يقول أن له 10 أيام وآخرين يقولون لدينا حوالي أسبوع وآخرون يؤكدون على أنهم وصلوا إلى هذا الوادي منذ 5 أيام.

يوم 3 جويلية 2023 هو تاريخ مقتل الشاب في صفاقس، وبعدها تقريبا بيوم أو يومين بدأت عملية تفريغ مدينة صفاقس، ووفقا لما يتم تداوله في عالم المقاهي ومنصات التواصل الاجتماعي بالرديف فإنه وعلى ما يبدو أن يوم 5 أو 6 جويلية هي أولى أيام احتجاج المهاجرين في وادي المغطى. ولكن ما يمكن قوله وتأكيدُه نسبياً هو أن يوم 7 جويلية 2023 هو التاريخ الرسمي واعتبار وادي المغطى أحد الأمكنة التي يمكن احتجاج المهاجرين فيه.

## 2) المسافات وصعوبة التنقل بين المغطى والمناطق المجاورة

حول المسافات الفاصلة بينها وبين باقي المعتمديات والحدود الجزائرية، فهي تبتعد عن معتمدية "تمغرة" بحوالي 20 - 25 كلم، وعن معتمدية "الرديف" بحوالي 18 كلم، وعن معتمدية "أم العرائس" بحوالي 20 كلم، وعن معبر "بتيتا" الحدودي بحوالي 12 كلم، وتبتعد عن الحد الفاصل بين تونس والجزائر بحوالي 1 كلم.

لئن كانت المسافات بينها وبين بعض المناطق والمعتمديات قصيرة، فإن الوصول إلى "وادي المغطى" أمر صعب وليس بالمستحيل، فطرق الوصول أحيانا تكون صعبة، وتتطلب إما سيارات قوية مثل سيارات "الناقة" وسيارات الدفع الرباعي، أو تتطلب الانتباه الدائم خاصة للذين لا يعرفون المكان جيدا أو الذين يزورونه لأول مرة. وللوصول إلى وادي المغطى يمكن أيضا استعمال دراجات نارية قوية مع التأنى أثناء السياقة وعدم التهور أو السرعة خاصة وسط الرمال وأثناء المرتفعات.

تكشف مسألة صعوبة الوصول إلى هذا المكان على استحالة تحويل وادي المغطى إلى فضاء للاجئين أو للمهاجرين، وهذا ما يؤكدُه أحد نشطاء الهلال الأحمر فرع الرديف بقوله:

" لا يمكن لوادي المغطى أن يكون مكانًا لتجميع المهاجرين واللاجئين، فهو لا يحتوي على المواصفات والمعايير الدولية والإنسانية والحقوقية، فمثلاً فإن هذا الفضاء خالٍ من الماء والكهرباء، وابتعد عن المستشفيات، فمن خلال طرقه الصعبة وفي الحالات الاستعجالية، هناك استحالة لوصول سيارات الإسعاف إلى هذا المكان".<sup>8</sup>

### (3) مهاجرون عالقون في مناخ شبه جاف

تسجل ولاية توزر 30 مم من كميات الأمطار في السنة الواحدة، ومن شهر جوان إلى سبتمبر تسجل الولاية 00 مم، وفي فصل الصيف تصل درجة الحرارة القصوى في ولاية توزر 41,71 درجة مئوية، والحرارة الدنيا 28,08 درجة مئوية، ويصل المعدل السنوي لدرجات الحرارة في فصل الصيف إلى 34,47 درجة مئوية. بينما تمتد أيام الشهيبي على مدى 34 يومًا، أما معدلات الرطوبة خلال أشهر جوان وجويلية وأوت فتصل إلى حدود 28,60%.<sup>9</sup>

---

<sup>8</sup>- تصرّح أحد نشطاء الهلال الأحمر فرع الرديف يوم 9 جويلية 2023 على الساعة السابعة مساءً أثناء اجتماع تنسيقي لتقديم المساعدات للمهاجرين العالقين بوادي المغطى. مكان الاجتماع: مقر المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية فرع الحوض المنجبي \_الرديف\_.

<sup>9</sup>- الجمهورية التونسية، وزارة الاقتصاد التخطيط، ديوان تنمية الجنوب، "ولاية توزر بالأرقام 2021" أكتوبر 2022.

وصل عدد المهاجرين المحتجزين في وادي المغطى يوم 9 جويلية 2023 حوالي 160 مهاجرا، وفي اليوم نفسه، سجل المعهد الوطني للرصد الجوي بأن درجات الحرارة تجاوزت 40 درجة في 21 محطة رصد جوي بمختلف مناطق البلاد التونسية، منها 13 فوق مستوى 45 درجة، لتُسجل ولاية توزر أعلى درجات الحرارة التي بلغت 49 درجة، مقتربة من رقمها القياسي 2، 49 درجة والمسجلة سنة 2018.<sup>10</sup>

في هذه الظروف المناخية الحارة والقاسية، ظل كل المهاجرون دون استحمام، ودون ماء للغسيل، فضلا عن نقص ملحوظ في الكميات المخصصة لمياه الشرب الباردة باعتبار أن الطّلب على المياه يرتفع أثناء موجات الحر. وفي سياق قسوة المناخ شبه الجاف، صرح مجموعة من المهاجرين أصيلي غامبيا بقولهم:

"نحن هنا (في وادي المغطى) لمدة 10 أيام تقريبا، ونعاني من العطش والجوع، وفي هذه الفترة نشرب من بركة مياه ملوثة.... نحن نريد العودة إلى وطننا".<sup>11</sup>

إن هذه الشهادة ليست خاصة فقط بمهاجري غامبيا، فمن خلال شبكة الملاحظات يتضح أن أغلب المهاجرين تقريبا في

---

<sup>10</sup>- النشرة الجوية، إذاعة موزاييك fm، يوم 9 جويلية 2023.

<sup>11</sup>- معلومات من شبكة الملاحظات والحوارات العفوية. يوم 12 جويلية 2023 صباحا بوادي المغطى.

وادي المغطى يعانون من حرارة الطقس وأشعة الشمس ومن نقص في الماء والغذاء.

#### 4) تحت النخيل وأحجار الجبال: مهاجرون باحثون عن الظلال هاربون من الحشرات

الطقس الحار، العطش والجوع ومع هذا فإن المهاجرون لا يمتلكون أي سقف يأويهم من حرارة الشمس ولا أفرشة ينامون فوقها، فهم متناثرون هنا وهناك على طول الوادي يبحثون عن الظلال تحت النخيل وأحجار الجبال.

منذ أن يدخل المرء مكان تجميع المهاجرين في وادي المغطى، فسيجد السودانيين جالسين أو نائمين تحت أحجار الجبال المحاطة بالوادي وتحتمها بركة من المياه الملوثة.

## الصورة عدد 1: مهاجرون سودانيون بوادي المغطى



المصدر: صورة التقطها شاب من الرديف أثناء تقديم المساعدات الإنسانية.

بعد هذا المكان الذي في الصورة أعلاه، حيث تتضح أشجار النخيل، سيجد الزائر كل المهاجرين الآخرين ومن كلا الجنسين ومن مختلف الجنسيات والأعمار، وهم متفرقون على طول الوادي وتحت النخيل، باحثين عن سقف يأويهم من حرارة الشمس وقسوة المناخ.

الصورة عدد 2: مهاجرون جالسون تحت النخيل بوادي المغطى



المصدر: العمل الميداني.

رغم كفاحهم وبحثهم عن الظلال نهاراً، إلا أن الحشرات السامة لم تجعل من ليلهم سُبَاتًا، حيث يؤكد غالبية المهاجرين على تكاثر الحشرات السامة وخاصة في الليل.

12 جويلية 2023 وعلى حوالي الساعة العاشرة صباحاً، يتجه أحد المهاجرين إلى وليد<sup>12</sup> ويطلب منه القدوم إلى مكان ما من الوداي ليريه أمراً ما، وأثناء الوصول إلى المكان المحدد يُشير المهاجر بيده ويُخاطب وليد:

<sup>12</sup>- وليد هو أحد الشبان الذين قاموا بالعمل الميداني. وليد هو الاسم المستعار.

" أنظر هناك إنها الأفعى، لقد قمنا بقتلها قبل مجيئكم بقليل."  
بالفعل يؤكد وليد صحة ما رآته عيناه:

" لقت رأيت الأفعى مقتولة، ويتضح أن عملية قتلها قد تمت قبل قدومنا إلى الوادي ببضع ساعات، أما عن طولها فهي ما بين 40 و50 سنتمترا".

حول خطر المكان جراء الحشرات السامة، يقول أحد المهاجرين السودانيين وملاح وجهه مليئة بالحزن والخوف:  
"هذا المكان (وادي المغطى) مليء بالحشرات السامة".

بناء على ما سبق ذكره، يتضح أن هذا المكان لا يمكن أن يكون مجالا يعيش فيه الإنسان، بقدر ما يمكن أن يكون فضاء لتسليط العقاب على أناس ضاق بهم الحال.

5) فضاء دون مقومات حياتية: هل يمكن لوادي المغطى أن يكون مكان تجميع المهاجرين؟

وادي المغطى، هو مكان بلا ظل وبلا أعشاب، ودون ماء وكهرباء وأنترنت ووسائل اتصال، وهو مليء بالحشرات، وبعيد عن المستشفيات والمرافق الأساسية للحياة. فهل يمكن لهذا المكان أن يكون محطة تجميع للمهاجرين؟ وفي هذا الإطار توجهنا بهذا

السؤال في نص الاستبيان وكانت الإجابة كما يوضحه الجدول أسفله.

جدول عدد9: تقييم المهاجرين المستجوبين لوادي المغطى.

كيف تقيم هذا المكان الذي أنت فيه (وادي المغطى)؟	
96.1%	مكان غير مريح وغير صالح للإقامة
3.9%	مكان مريح للإقامة

بشكل عام، لا يمكن لوادي المغطى أن يكون فضاء يعيش فيه الإنسان، هو فقط مكان لتعذيب المهاجرين وتسيط العقاب عليهم. وفي هذا السياق العنصري تعيد هذه الصور المساوية والأليمة إلى ذاكرتنا قصص الانتهاكات الاستعمارية التي اتسمت بالعنصرية والظلم والتفاضلية المجالية.

## 6) التمايزات المجالية تُعيد صور التقسيمات الاستعمارية

خلقت الدولة التونسية تمايزاً مجالياً وعنصرياً بين مواطنين تونسيين يعيشون في المنازل والأحياء ومواطنين من جنسيات أخرى إفريقية تم إقرارهم في الأطراف: في الجبال والصحراء والغابات. وباعتبار أن وادي المغطى لا يبتعد كثيراً عن القرى المنجمية وخاصة مدينتي الرديف وأم العرائس فهي تذكرنا

بصور التقسيمات الهندسية خلال الفترة الاستعمارية، بين أحياء أوروبية في مركز القرى المنجمية ومبينة حسب الطراز الأوروبي، "فيلات ذات أسطح قرمدية حمراء، وأحياء أهلية بمثابة معازل مكونة من الأكواخ رثة تفوح منها رائحة البصل والبول... ومرتعا للحشرات السامة، إنه جحيم هندسي."<sup>13</sup>

إنّ إقرار وضع المهاجرين على الحدود وفي الصحراء وداخل الجبال والوديان، وعزلهم عن المدن والأحياء ومرافق الحياة، هي نزعة سياسية عنصرية، تذكرنا بوصف الفرنسي فرانتزون: «مدينة المستوطن صلبة مبنية بالحجر والحديد وأنوارها ساطعة وطرقاتها معبّدة، وصناديق القمامة فيها ما تنفك تبلغ نفايات ما عرفها الآخرون ولا رأوها يوما ولا حلموا بها يوما، والمستعمر (المستوطن) لا ترى قدماه عاريتان قط، اللهم إلا على شواطئ البحر... أما الأحياء الأهلية فهي محظورة على الأوروبيين أن يتجولوا فيه، فهو مكان يسكنه أناس سيئو السمعة، فيه يولد المرء أين كان، وكيف كان، وفيه يموت المرء أين كان وبأي شيء كان. هو عالم بلا فواصل، الناس يتكدسون فيه بعضهم فوق

---

<sup>13</sup>- الجوادي، (عبد المجيد)، حفريات في جرائم الاستعمار الفرنسي بمناجم قفصة، تقديم: محمد

الخالدي، دار سحر للنشر، تونس، 2020، ص 42، 43.

بعض، وجائعون، فضاء الأحياء الأهلية عبارة عن مدينة جاثية وراكعة ومدحرجة في الوحل.»<sup>14</sup>

## 7) الوضع والإحاطة الصحية بالمهاجرين في وادي المغطى

"العالم في حاجة إلى حارس أمين على صحته، يحرس القيم ويحمي الصحة ويدافع عنها، بما في ذلك الحق في الصحة". هذا ما قالته المديرية العامة لمنظمة الصحة العالمية الدكتورة مارغريت تشان (2007-2017). ولكن هل كانت الدولة التونسية حارسة أمينة على صحة المهاجرين؟

تؤكد منظمة الصحة العالمية على أنه بغض النظر عن وضع الهجرة، يتمتع جميع المهاجرين واللاجئين بالحق في الصحة ويجب على البلدان إتاحة خدمات صحية تراعي احتياجاتهم.<sup>15</sup> وفي هذا الإطار تطرقنا في أسئلة الاستبيان إلى سؤال مفاده بشكل عام هل تلقيت خدمات صحية في تونس؟

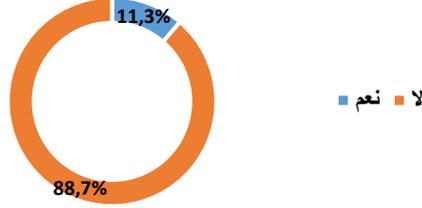
---

<sup>14</sup>- فانون، (فرانز)، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي وجمال اتامي، دون ذكر دار النشر وسنة النشر، ص 21، 22.

<sup>15</sup> - <https://www.who.int/ar/news-room/questions-and-answers/item/refugee-and-migrant-health#>.

الشكل عدد6: ما مدى تلقي المهاجرين للمساعدات الطبية في تونس  
حسب أفراد العينة

هل تلقيتم مساعدات طبية في تونس؟



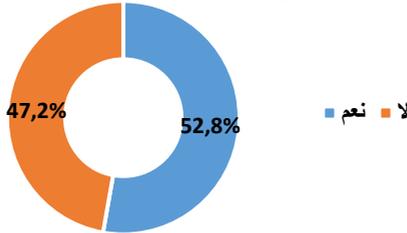
تؤكد هذه الأرقام على عدم تدخل الدولة التونسية في عمليات المساعدات الطبية للمهاجرين بصرف النظر عن وضعهم النظامي أو غير النظامي. وهذا ما يتناقض مع مبادئ منظمة الصحة العالمية والحقوق الأساسية التي يجب على الإنسان أن يتمتع بها.

بعد هروبهم من ججيم صفاقس، وبعد مشقة رحلة هجرية دامت حوالي 3 أشهر من دولة السودان مرورا بالتشاد ثم النيجر والجزائر وتونس، وبعدما ما عاناه مهاجرون آخرون قطعوا مسافات امتدت من غامبيا- السينغال- موريتانيا- الجزائر ثم تونس، ومجموعات أخرى قطعت طريقا ينطلق من السيراليون- غينيا- مالي- النيجر- الجزائر ثم تونس وغيرها من الطرق الصعبة

والوعرة فمن الطبيعي أن العديد منهم سيكونون مصابين بالآلام أو جروح في الأجساد وهذا ما بيّنته نتائج البحث.

الشكل عدد7: نسب المصابين بالجروح والآلام في الجسد بوادي المغطى حسب العينة المستجوبة

هل أنت مصاب بجروح أو بالآلام في جسدك في هذا المكان (المغطى)؟



على طول الوداي، امرأة مهاجرة من أصول غينية، جالسة تحت النخيل رفقة ابنها الذي لا يتجاوز الأربع سنوات من عمره تندد وتقول:

" في هذا المكان يُعاني ابني من الأمراض، هنا نعيش المعاناة والألم، هنا نعاني من قهر الظروف".<sup>16</sup>

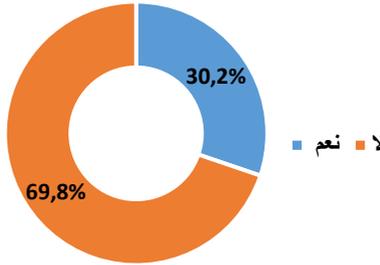
في هذه الأوضاع الصحية الكارثية تدخل الهلال الأحمر بالريديف وقدم مساعدات "شبه طبية" للمهاجرين المحاصرين في وادي المغطى تتمثل أساسا في الإسعافات الأولية وتضميد بعض

<sup>16</sup>- حوار أجراه رمزي مع مهاجرة من أصول غينية (غينيا). يوم 12 جويلية 2023 صباخا. رمزي هو الاسم المستعار.

الجراح خاصة على مستوى الأرجل. كما أن هذا الهيكل التنظيمي بالرديف لا يمتلك الموارد المادية والبشرية الكافية لتقديم مساعدات طبية متطورة واحترافية خاصة وأنّ وادي المغطى مكان يصعب على سيارات الإسعاف الوصول إليه، وتنعدم فيه الكهرباء باعتبار أن العديد من المعدات الطبية لا يمكنها الاشتغال دون كهرباء. وهكذا أردنا معرفة هل أن المهاجرين تلقوا خدمات طبية على عين المكان أم لا.

الشكل عدد8: ما مدى تلقي المساعدات الطبية في وادي المغطى وفقا لأفراد العينة

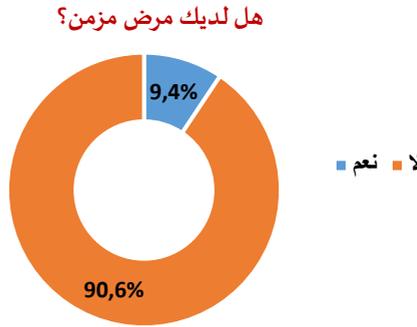
هل تلقيتم مساعدات طبية في هذا المكان (المغطى)؟



ونشير في هذا المستوى من العمل، إلى أنّ 30,2% من الذين أكدوا على تلقيهم مساعدات طبية في وادي المغطى هم في الحقيقة تلقوا فقط خدمات شبه طبية قدمها الهلال الأحمر بالرديف،

هناك بعض المهاجرين الآخرين الذين تم نقلهم إلى مستشفى تمغزة. فهم لم يَمروا عبر فحوصات طبية تؤكد عدم إصابتهم بأمراض معدية أو مزمنة، لذلك تطرقنا أيضا إلى سؤال مفاده هل لديك أمراض مزمنة وكانت الإجابة كما التالي.

الشكل عدد9: نسب الأمراض المزمنة لدى العينة المستجوبة (%)



من خلال شبكة الملاحظات، ومن خلال معدل أعمار العينة المستجوبة وبعد قطعهم لمسافات طويلة سيرا على الأقدام لم نرصد في وادي المغطى حالات كثيرة من الإغماء جراء مرض السكري مثلا وبذلك قد تكون الإجابات حول مدى إصابتهم بأمراض مزمنة هي إجابات منطقية، ولكن يظل القطاع الطبي وحده هو القادر على الوصول إلى نتائج طبية.

يُمكن للمرء أن يتخيل أنّ هناك مجموعة من المهاجرين، قضوا عديد الأشهر والأيام دون استحمام، ودون مرحاض، ودون خدمات وفحوصات طبية، وبالتالي يمكن القول إنّ الدولة التونسية لم تحترم الحقوق الأساسية للمهاجرين وهي الحق في الوصول إلى خدمات ورعاية صحية. فإذا تأكّد انسحاب الدولة التونسية فما مدى تدخل المنظمات الدولية والأممية في هذه القضية؟

### ثالثاً: مهاجرون منبوذون ومنظمات ووكالات دولية منسحبة

التقينا على طول وادي المغطى بمهاجر مصاب بجروح في قدميه، جالس تحت النخل ويقول:

"أنا متزوج، ولكن لا أعرف أي معلومة حولها أو حول ابني، وأنا أطلب من المنظمة العالمية للهجرة ومن الاتحاد الإفريقي أن يتدخلاً".<sup>17</sup>

وعلى بعد بضعة أمتار من مكان المهاجر الجريح، يشكو كل المهاجرين أصيلي غامبيا تقريبا من ظروفهم الصحية المتعكرة ويؤكدون على أن وضعهم يتجه نحو المزيد من التعقيد ويطالبون

---

<sup>17</sup>- معلومات من شبكة الملاحظات بوادي المغطى. 12 جويلية 2023 صباحا.

بتدخل المنظمة العالمية للهجرة والاتحاد الإفريقي.<sup>18</sup> فكيف كانت استجابة المنظمات والوكالات الدولية؟

تعمل المنظمة العالمية للهجرة على المساعدة في ضمان إدارة إنسانية ومنظمة للهجرة وتعزيز التعاون الدولي حول قضايا الهجرة والمساعدة على البحث عن الحلول العملية لمشاكل الهجرة وتقديم مساعدات إنسانية للمهاجرين المحتاجين بما في ذلك اللاجئين والمهجرين داخل بلدانهم. كما يقر دستور المنظمة بالعلاقة القائمة بين الهجرة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحق الأشخاص في التنقل. ولكن في وادي المغطى لم يحدث شيء من ذلك. ولم نرصد البتة، وصول المساعدات الإنسانية ولم تطالب هذه المنظمة وبطريقة راديكالية وشرعية بحرية تنقل الأشخاص العالقين في وادي المغطى.

وفضلا عن المنظمة العالمية للهجرة، فإنّ المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، والتي تأسست بتونس منذ سنة 1963 تعمل على حماية اللاجئين، وضمان أن طالبي اللجوء يمكنهم التقدم بطلب للحصول على الحماية والحصول عليها، ودعم وصول اللاجئين إلى الخدمات الصحية والتعليمية وضمان قدرة اللاجئين وطالبي اللجوء المستضعفين على تلبية

---

<sup>18</sup> - معلومات من شبكة الملاحظات بوادي المغطى. 12 جويلية 2023 صباحا.

احتياجاتهم الأساسية. ورغم هذا فإن وادي المغطى لا يحمل فقط مهاجرين بطريقة غير نظامية، بل هناك فئات يرغبون في الحصول على اللجوء وآخرون لهم وثائق لجوء، وهذا ما يؤكد أنه أحد اللاجئين الناطقين باللغة الفرنسية والذي أكد لنا وحرص على عدم ذكر هويته أو جنسيته أو نقل صورته:

" أنا متزوج، ولي 5 سنوات مقيم في تونس ولي وثيقة اللجوء وجواز السفر (وبالفعل شاهدنا هذه الوثائق) وأنا عالق هنا أشكى من قهر السلطة السياسية ومن عدم تدخل المنظمات الدولية والأممية"<sup>19</sup>.

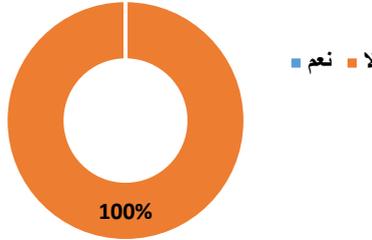
إن التشكي والقول إنّ المنظمات والوكالات الدولية والأممية لم تلعب دورا جيدا في هذه الأزمة هي أقوال تجري على كل لسان، وليست حكرا على صاحب الشهادة أعلاه. فقد أكدّ جلّ المهاجرين العالقين بوادي المغطى على أنهم لم يتلقوا أي مساعدات أو توجيهات من قبل المنظمات الدولية.

---

<sup>19</sup>- حوار عفوي أجري يوم 9 جويلية 2023 صباحا بوادي المغطى مع أحد اللاجئين الناطقين باللغة الفرنسية.

الشكل عدد10: في مدى تلقي المساعدات والتوجيهات من قبل المنظمات الدولية حسب أفراد العينة

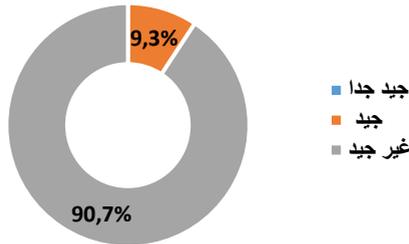
هل تلقيت مساعدات أو توجيه من قبل المنظمات الدولية؟



في ظرفية مأزومة ومعطوبة، وفي زمن تسليط القهر على المهاجرين ونبتهم وطردهم إلى الأطراف دون ماء وأكل وعلاج، وفي سياقات تصاعدت فيها أصوات العنصرية، كيف يقيم المهاجرون المحصورون في وادي المغطى هذه المنظمات؟

الشكل عدد 11: كيف يقيم المستجوبون تعامل المنظمات الدولية معهم؟

كيف تقيم تعامل المنظمات الدولية معكم؟



تؤكد هذه الأرقام والشهادات المكتوبة أعلاه على تنامي مشاعر الإحباط، وهو استياء المهاجرين من عدم تدخل كل المنظمات والوكالات الدولية التي تُعنى بالقضايا الهجرية في هذه الأزمة الإنسانية التي يرافقها تنام ملحوظ في أصوات العنصرية.

وحول عدم تدخل هذه المنظمات والوكالات تتضارب الأقوال والتبريرات، فهناك جهات تؤكد على أن المهاجرين لم يتصلوا بهم وهذا في الحقيقة غير مبرر لاعتبار أن الجغرافيا التي يُحجز فيها المهاجرون تفتقر لشبكات الاتصال ومن المفترض أن تنتقل المنظمات بنفسها، ورواية أخرى تؤكد على أن السلطات التونسية هي التي منعت تواجد أو دخول هذه المنظمات إلى الفضاءات الحدودية باستثناء الهلال الأحمر المنظمة الوحيدة التي لها إمكانية الدخول وتقديم المساعدات.

#### رابعاً: الحدود التمييزية وقتل حُلْم الإنسانية

تقريباً منذ تسعينيات القرن الماضي وسقوط المعسكر السوفيياتي وتوسع النيوليبرالية المعاصرة وتشكل فضاء شنغان صارت الهجرة امتيازاً وليست حقاً، بل وصار الحديث عن هيمنة دول الشمال الصناعي على دول الجنوب المختلفة اقتصادياً واجتماعياً حديثاً روتينياً. ونتيجة لإقرار الحدود التمييزية، تحولت عديد الشواطئ التونسية والمغربية والإفريقية إلى مسرح

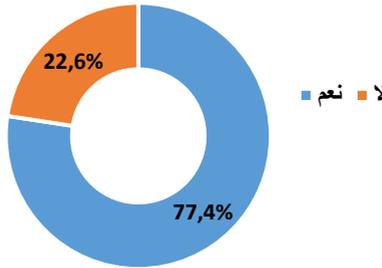
للقصص الإنسانية والتراجيدية، وحتى داخل أبناء الجلدة الواحدة، أي جلدة الأفارقة صار التعامل مع الحدود تعاملًا تمييزيًا وعنصريًا وغير إنساني.

## 1) الحرس الوطني أمامكم والدرك الجزائري وراءكم

طرحنا السؤال التالي على العينة المستجوبة -واستثنينا من بينهم المهاجرين القادمين عبر الرحلات الجوية- : كيف يتمكن المهاجرون من الدخول إلى الأراضي التونسية بطريقة غير نظامية؟ وجاءت الإجابات لتبين أنهم يدخلون تونس إما عن طريق شبكات التهجير أو الدفع بالقوة بغاية الدخول إلى التراب التونسي وهذا ما تفعله السلطات الجزائرية.

الشكل عدد12: هل ان السلطات الجزائرية هي التي دفعتكم باتجاه تونس؟

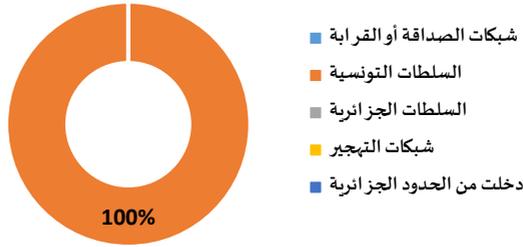
هل ان السلطات الجزائرية هي التي دفعتكم باتجاه تونس؟



يؤكد 77،4% من أفراد العينة المستجوبة على أن السلطات الجزائرية هي التي دفعتهم باتجاه تونس، ولكن السلطات التونسية وبعد أن قضى عديد المهاجرين مدة زمنية في مدن تونسية هي التي أعادتهم إلى الحدود التونسية-الجزائرية، وهذا ما بينته نتائج البحث الكمي.

الشكل عدد13: الفاعلون الذين أوصلوا ووضعوا المهاجرين في وادي المغطى حسب العينة المستجوبة

من أوصلك إلى هذا المكان؟



يؤكد كل المستجوبين على أن السلطات التونسية هي التي وضعتهم واحتجزتهم في هذا المكان، ويعتبر هذا الفعل شكلا من أشكال الظلم والعنصرية، وفي هذه الأحداث يمكن وصف الدولة التونسية بدولة الاحتقار.

في هذا السياق بين الدفع على الحدود وعبرها، يجد المهاجرون أنفسهم محاصرين بين القوات الأمنية التونسية

والعساكر الجزائرية أو ما يُعبر عنه بـ "الدرك". ففي إحدى الأيام ما بين أيام 8 و11 جويلية 2023، ووفقا لشهادة مهاجر غامبي: " حاولنا الدخول إلى التراب الجزائري ولكن السلطات

الجزائرية أطلقت النار في الهواء".<sup>20</sup>

ولمزيد التأكيد يؤكد أحد المواطنين على استماعه لطلقات هوائية في إحدى تلك الأيام، ولكن لا يعرف مصدرها ولا يعرف أيضا إن كانت طلقات نارية أو غازا مسيلا للدموع.

من جهة أخرى حاول بعض المهاجرين الهروب من وادي المغطى أو قاموا باحتجاج على السلطات الأمنية التونسية من أجل الحصول على المياه،<sup>21</sup> ولكن جابهتهم القوات الأمنية التونسية بإطلاق الغاز المسيل للدموع. ففي وادي المغطى يكشف أحد المهاجرين أصيلي غامبيا عن ظهره، إذ يتبين آثار العنف والحرق، وهي آثار الغاز المسيل للدموع.<sup>22</sup>

---

<sup>20</sup>- حوار أجراه وليد يوم 12 جويلية 2023 صباحا بوادي المغطى. وليد هو الاسم المستعار.

<sup>21</sup>- في الحقيقة لا نعرف تحديدا سبب استعمال السلطات التونسية للغاز المسيل للدموع لأن هناك روايتين، الأولى تقول أن المهاجرين أرادوا الهروب من وادي المغطى وتقول الرواية الثانية أنهم احتجوا لسبب عدم وفرة المياه.

<sup>22</sup>- معلومات من شبكة الملاحظات. يوم 12 جويلية 2023 صباحا بوادي المغطى.



صورة عدد 3: الغاز المسيل للدموع بوادي المغطى

المصدر: العمل الميداني.

بشكل عام وجد المهاجرون أنفسهم محاصرين بين طلقات نارية هوائية مصدرها العساكر الجزائرية وبين قنابل غازية مسيلة للدموع من مصادر أمنية تونسية، فهم يقبعون في سجن محصور بين جحيمين، جحيم الدرك الجزائري والأمن التونسي.

## (2) حرّروا الحدود

في وادي المغطى، يقول أحد المهاجرين أصيلي غينيا كوناكري:

" أنا افريقي، وتونس دولة إفريقية، ومن حقي العيش هنا".<sup>23</sup>

أثناء تقديم المساعدات وملء الاستبيانات، يأتي إلى جانب فريق العمل الميداني شاب ناطق باللغة الفرنسية، وكأنه يحمل الخبز أو قارورة مياه في يده<sup>24</sup>، ويكرر في أغنية مغني الراب Slookinغ سلوكينغ: "La Liberté la liberté... الحرية- الحرية". ولم يتوقف هذا المهاجر عن الغناء إلا بعد أن أجبره أحد الأمنيين على التوقف.<sup>25</sup>

من خلال الملاحظة الميدانية يتبين أنّ هذه الفئات تمتلك عواطف وحنينًا وتوقًا إلى الحرية، فهم ليسوا عبيدًا أو قطعانًا. ومن جهة أخرى يتبين أن الحدود هي التي قتلت الأحلام ودمرت المجتمعات، فالحدود التمييزية قتلت أحلامًا وأجسادًا إنسانية وصارت أحد العلامات الدالة على رمزية الهيمنة الاستبدادية وبمسارات غير عادلة وغير متكافئة.

في سياق تحولت فيها الحدود التمييزية إلى رمز للقهر والقمع والطغيان وقتل الانسان والاحلام، وفي ظروف يعيش فيها

---

<sup>23</sup>- معلومات من شبكة الملاحظات. يوم 9 جويلية 2023 صباحًا.

<sup>24</sup>- لم يتذكر وليد جيدا ما كان يحمله هذا الشاب إن كان خبزًا أو قارورة مياه. وليد الاسم المستعار وأحد الأشخاص الذين قاموا بالعمل الميداني.

<sup>25</sup>- معلومات من شبكة الملاحظات. يوم 12 جويلية 2023 صباحًا.

المهاجرون على وقع استباحة كرامتهم بوادي المغطى، تعالت أصوات وهتافات بعض المهاجرين أصيلي غينيا كوناكري:

"Libérer les frontières .... حرروا الحدود".<sup>26</sup>

يكشف المشهد عن شعوب دول الجنوب المحاصرة برًا وبحرًا. شعوب لا تتنفس الحرية وأقوام لا يستنشقون رائحة العدالة، فقد تلوثت أسماعهم وأبصارهم بالنظر والاستماع إلى الخطابات والممارسات العنصرية. وفي هذه الظروف العالمية المتسمة بعزل الحدود صارت هذه الأخيرة قاتلة للروح البشرية ولأحلام الإنسانية.

**خامسا: مشاعر الخوف، الممارسات العنصرية ووجهة المهاجرين بعد أحداث صفاقس**

(1) مهاجرون محاصرون في دائرة الخوف

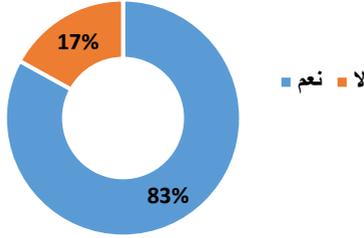
بعد المعاناة والممارسات العنصرية وإذلال المهاجرين وتشريدهم وبندهم، هل مازال المهاجرون سيشعرون بالاطمئنان، أم هل تتنامى مشاعر القلق والخوف؟

---

<sup>26</sup>- معلومات من شبكة الملاحظات. يوم 12 جويلية 2023 صباحًا.

الشكل عدد 14: تطور مشاعر القلق والخوف عند المهاجرين  
المستجوبين (%)

هل تشعر بالقلق والخوف في تونس؟



« الخوف هو نواة القلق »، هذا ما قاله متخصص في معالجة المصابين بالقلق Jim Folk، فالإنسان يخاف من إمكانية حدوث أمر سيء أو من ضرر ما قد يصيبه في المستقبل. ومن ثم يتوَلَّد لديه شعور بعدم الأمان وغياب السكينة بل وحتى بالتهديد الذي قد يحدث به في أي وقت. فتشتدّ حدّة الخوف شيئاً فشيئاً أمام شبح المجهول وغموض الظروف.<sup>27</sup> « بالفعل يعيش هؤلاء المهاجرون على وقع ضبابية مستقبلهم، فهم لا يعرفون أين ستجدهم السلطات ولا يعرفون أي معلومة عن مصيرهم، وتأتي

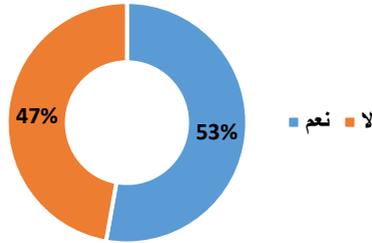
<sup>27</sup> الموم، (ألفة)، عبد الباقي، (مريم)، شباب في الهوامش: الصحة النفسية والسلوكيات المحفوفة بالمخاطر في الكبارية والقصرين الشماليين وتطاوين الشمالية، إنترناشونال ألرت، 2022، ص 37.

هذه المخاوف في ظرفية تعرض فيها العديد من المهاجرين على وقع أفعال عنصرية بصرف النظر عن شكلها.

## (2) العنف: التطور والمصدر

الشكل عدد15: في تطور المضايقات العنصرية حسب أفراد العينة

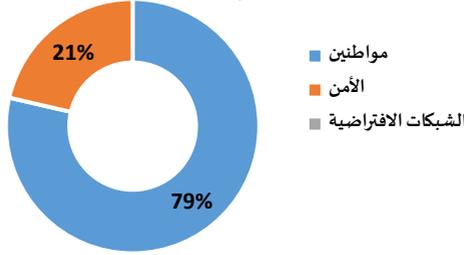
هل تعرضتم لمضايقات عنصرية في تونس؟



هنا وجب الإشارة إلى مسألة لافتة للانتباه، وهي أن نسب التعرض إلى مضايقات عنصرية قد ترتفع في دراسات حالات أخرى ومهاجرين آخرين في تونس. فالعينة المستجوبة فيها 26 مهاجرًا سودانيا، وأكد كل السودانيين المستجوبين على عدم تعرضهم لمضايقات عنصرية باعتبار أنّ دخولهم إلى تونس لم يمض عليه سوى بضعة أيام. من جهة أخرى أردنا معرفة مصادر المضايقات العنصرية، ويوضح الشكل أسفله هذه المصادر.

الشكل عدد 16: مصادر العنف حسب أفراد العينة المستجوبة

إن كانت الإجابة بنعم فهل المضايقة كانت من؟



بعد نبذهم ووضعهم في الوديان وداخل الجبال وعلى الحدود، وبعد تنامي أعمال العنف والعنصرية، ما هي وجهة المهاجرين المسجونين في وادي المغطى؟

3) بعد أحداث صفاقس: ما هي وجهة المهاجرين بوادي المغطى؟

الجدول عدد 10: وجهة المهاجرين المحتجزين بوادي المغطى وبعد أحداث صفاقس حسب أفراد العينة

بعد حادثة صفاقس: ما هي وجهتك الآن؟	
37,9%	البحث عن مكان آمن إلى أن تنتهي الحرب في السودان
11,3%	البقاء في تونس
41,5%	الوصول إلى أوروبا
7,5%	العودة إلى الوطن الام
1,9%	أريد العلاج والعودة إلى الوطن الأم

قبل أحداث صفاقس، بينت نتائج الدراسة أن حوالي 58% يرغبون في البقاء في تونس وذلك كما فسرنا سابقا إما هروبا من الحرب أو من الاضطرابات والانقلابات السياسية أو يعملون على تجميع موادهم المادية من أجل تسديد تكاليف الرحلة الهجرية. أما بعد حادثة صفاقس في مطلع جويلية 2023 فإن وجهة المهاجرين لم تتغير كثيرا، حيث أن أغلبهم يبحثون فقط عن مكان آمن إلى أن يعود الاستقرار في موطنهم والآخرين وبنسبة 41% فهدفهم هو الوصول إلى الضفة الشمالية من المتوسط، أما الذين يريدون العودة فنسبهم منخفضة باعتبار أنهم هاربون من الفقر والجوع والتصحر والحروب، وكأنهم يرددون عبارات الشباب التونسي أثناء صعودهم قوارب الرحلة الهجرية غير النظامية: " نَلْعَيْهَا حَمْرَاءَ كَحْلَاءَ " أي أخوض اللعبة سواء كانت حمراء أم سوداء. فهؤلاء تم حرق أحلامهم وآمالهم في موطن النشأة، ليس لديهم ما يخسرون إما العيش بكرامة أو الموت، فالمغيبون يعتبرون أنفسهم أمواتاً فوق الأرض وتحت الشمس. وهنا وجب التذكير أن أحلام وطموحات المهاجرين بوادي المغطى لا تختلف كثيرا عن أحلام وتطلعات التونسيين والتونسيات، فأغلب الشعوب الإفريقية تعيش المأساة نفسها، يكافحون ضد الاضطهاد، يتبنون تقريبا الأفكار نفسها: فكرة الحرية، المساواة والعدالة الاجتماعية.

رغم الألم والانتهاكات والمضايقات، ورغم نجاح السلطة السياسية في إنتاج "رهاب المهاجرين"، وفي ظرفية لم تقم فيها المنظمات الدولية بأدوار جيّدة تجاه المهاجرين المحتجزين، راح العديد من المواطنين العاديون ومن بسطاء الناس رفقة بعض المنظمات يقدمون يد المساعدة لأناس ضاق بهم الحال.

## سادساً: على الحدود ووسط الوادي وبين الجبال: مواطنون يقدمون دروساً في الإنسانية

### 1) هل الهامش هو النشازوالابن العاق؟

يعتبر "الكثيرون عن وعي أو عن غير وعي دائماً أنّ المدينة في تاريخ تونس هي الأصل والجوهر والحلقة المركزية وبؤرة الإشعاع بينما الأرياف هي الفرع والنشاز والهامش والابن العاق".<sup>28</sup> ولكن بيّنت العديد من المحطات النضالية التاريخية والوطنية مثل ميعاد سببيلة 1881 وإقرار المقاومة المسلحة زمن الاستعمار وفي الانتفاضات الشعبية زمن الدولة التسلطية حضور القيم المواطنة والوطنية في القرى والأرياف المنسية. كما شاركت مدن الهامش وخاصة تلك المدن التي تمتلك خزاناً نضالياً ونقابياً مثل

---

<sup>28</sup> التيمومي، (الهادي)، "خواطر حول دور الأرياف في الحركة الوطنية التونسية بين 1881 و1956" مجلة رو افند، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية بتونس، الجزء الأول، العدد الأول، ص 11-16، ص 12.

القرى المنجمية في عديد المحطات التضامنية مثل جمع التبرعات لفائدة القضية الفلسطينية وأخرى لفائدة مخيم الشوشة على غرار الحملات التضامنية المحلية.

## 2) حينما يرسم الهامش الصور الجميلة والإنسانية

تقريبا منذ يوم 7 جويلية 2023، وحينما راج خبر مفاده أنّ هناك مهاجرين عالقين ومحتجزين في وادي المغطى، وبصفة تلقائية وعفوية وعاطفية اتجه عديد المواطنين من سكان الرديف وأم العرائس وكذلك البعض من سكان دشرة "الدّوّاؤدية" الجزائرية<sup>29</sup> إلى وادي المغطى واصطحبوا معهم الماء والغذاء. ومنذ يوم 8 جويلية 2023 تقريبا تدخل الهلال الأحمر فرع الرديف والمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية فرع الحوض المنجمي في هذه المساعدات الإنسانية.

وفي اليوم الموالي (9 جويلية 2023) تشكلت بمدينة الرديف لجنة محلية لتقديم المساعدات للمهاجرين، وتتكون هذه اللجنة من الهلال الأحمر فرع الرديف والمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية فرع الحوض المنجمي،<sup>30</sup> رفقة مواطنين

---

<sup>29</sup>- الدّوّاؤدية: هي دشرة صغيرة تقع في الدولة الجزائرية وتبتعد عن الحد الفاصل بين تونس والجزائر بحوالي وما بين 1 و2 كلم.

<sup>30</sup>- تشكلت اللجنة يوم 9 جويلية 2023 بمقر المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية فرع الحوض المنجمي.

عاديين أصيلي مدينة الرديف المنجمية. ودعت اللجنة إلى عدم وقف المساعدات وإلى خطابات التهذئة ووقف الاحتقان. وهكذا فإن الحركات النضالية التي عاشتها الرديف وخاصة سنة 2008 لا تعني فقط التمرد والعصيان، بل أن مؤسسات الاحتجاج هي مؤسسات ثقافية وتضامنية تغير في السير الذاتية للأفراد الذين عبّئوا وتلقي بظلالها على الأجيال اللاحقة.

بشكل عام، لا يجد الفاعلون في مدينة الرديف صعوبة في تحديد الأفعال سواء كانت احتجاجية أو إنسانية، فهم بطريقة أو بأخرى تعملوا الدروس من الحركات والأفعال التضامنية السابقة حيث يتضح أنّ لهم وعيا يمكن تسميته بـ "الرجوع إلى الأفعال السابقة من نفس النوع" وإظهار معرفة معينة في تنفيذها من خلال اعتماد أشكال تقسيم العمل التي تنطوي على الخبرة وتظهر القدرة على تنفيذ العديد من الأفعال في وقت محدد وبطريقة منسقة وتظهر ملاحظة التفاعلات بين المنظمين والمشاركين بوضوح هذا "الوعي المشترك" للأداء.<sup>31</sup>

وباعتبار الديناميكية الاقتصادية بالمنطقة الحدودية بوادي المغطى، ومن أجل سرد الحقيقة فإن المواطنين الذين

---

<sup>31</sup>- Fillieule, (Olivier), "Tombeau pour Charles Tilly. Répertoires, performances et stratégies d'action", In EricAgrikoliansky et al, *Penser les mouvements sociaux*, La Découverte, Paris, 2010, pp 77 – 99. P 82.

يقدمون مساعدات إنسانية للمهاجرين لم يجدوا صعوبات عديدة أثناء تقديمها، فمن خلال العلاقات بين بعض المواطنين والقوات الأمنية سهلت نسبياً عملية الإغاثة، فالحرس الحدودي لم يكن متشددا كثيرا بل وراح بعض الأعوان يقدمون يد المساعدة على الحدود وبين مرتفعات الجبال.

التقى المواطنون رفقة شبكة من النشطاء والفاعلين وقدموا دورساً إنسانية وتضامنية، ورسوموا صوراً بليغة وجميلة عن تونس الأعماق: صور الكفاح وتقديم المساعدات. ونسبت هذه الصور الجميلة الأطروحة الانقسامية التي ترى في المجتمع القروي المغاربي مجتمعا انقساميا، تحدده فقط العلاقات شجرة الأنساب والروابط الدموية والقبلية. ولكن كل هذا لا يعني أن العديد من المواطنين مع حرية تنقل المهاجرين العالقين في المغطى، فالعاصفة الشعبوية وأيديولوجيا "رهاب المهاجرين" وصلت إلى هذه المدن والارياف ونجحت في صناعة مواطنين يكرهون المهاجرين.

## خاتمة

في الصّورة التّهائيّة، يظهر مهاجرون هاربون من الحرب ومن الاضطرابات والانقلابات السياسية، وفارون من الفقر والجوع والتصحر والحرمان ولكن الحدود قتلت الأحلام والآمال والتطلعات. وفي الصّورة أطفال، قاصرون ونساء وشباب جمعهم المأساة نفسها يتمنون تحقيق الأحلام نفسها: حلم الحرية والمساواة.

وفي رحلتهم الهجرية وبعد أن قطعوا الغابات والصحراء وجد المهاجرون أنفسهم على الحدود التونسية الجزائرية، وسط وادي المغطى وبين مرتفعات الجبال وتحت الشمس وفي فضاء مرتع للحشرات، هكذا إذن استبيحت كرامة الانسان استباحة مزدوجة مضاعفة بدأت في موطن النشأة وانتهت في وطن الاستقبال، وغيبّ الإنسان فيهم عبر القوميات والقارات.

فهم في موطن نشأتهم، يعانون من الحرمان، ثمّ يصادر عبر القارات حقهم في التنقل، وفي تونس عاشوا في فضاء مفتوح للتغيب المضاعف<sup>32</sup>: إذ العودة إلى موطنهم تعني الرجوع إلى مربع

---

<sup>32</sup> Sayad, (Adbelmalek), La double absence: Des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré, Préface: Pierre Bourdieu, Éditions du Seuil, Paris, 1999.

الإحباط والفقر والحرب والحرمان، كما أنّ البقاء في تونس يعني الجلوس فوق البركان.

ومن الجليّ أنّ الأحداث كلّها تؤكد على عطوثة مسار التحديث في تونس. ففي عصر التقدم والتطور والصناعة وحقوق الإنسان، لم يخطر ببال أحد أنّه في يوم من الأيام سنرى أناس منبوذين على الحدود: داخل الوادي وبين الجبال. نعم إنها في تونس التي أغلقت الرق في 23 جانفي 1846، وصاغت الدستور الوضعي سنة 1861، ونبذت القبيلة والأحكام السلطانية مع دولة الاستقلال وأنجزت ثورتها سنة 2011، تونس بقواها التقدمية والديمقراطية التي كافحت ولا تزال تناضل عبر الأجيال فيما يُهان المهاجرون. قصتهم تحمل في طياتها كل الآلام: مهاجرون عالقون ومنبوذون في وادي المغطى باعتباره فضاء للتغيب المضاعف.

في الختام يمكن القول إن الشعبويات وخاصة اليمينة منها، تقوم على نبذ المهاجرين وخلق العداء والكراهية. فالرئيس قيس سعيد يتبع "استراتيجية تلاعب تُخاطب العواطف بدلا من العقول وتقدم صورة مخيفة عن الأوضاع واحتمالات تطورها وتكيل الاتهامات لمصدر الأذى والشروع مع الحفاظ على غموض هذا المصدر: فالشعبوي لا يحدده خصمه أو أعداءه بوضوح ولا

يذكر أسمائهم ويصفهم بنعوت مثل الخيانة مؤكداً على دوره  
كحام للوطن من المؤامرات.<sup>33</sup>

---

<sup>33</sup> - الهرماسي، (عبد اللطيف)، تونس الثورة والمحنة: مقارنة من منظور علم الاجتماع السياسي، منشورات سوتيميديا، تونس، 2023، ص 268.



المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

## المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

2 شارع فرنيما عمارة ابن خلدون (الناسيونال سابقا) 

الطابق الثاني شقة 325 باب بحر تونس 1000

الهاتف: (+216)71 325 129 ( الفاكس: (+216)71 325 128) 

ftdes.net  contact@ftdes.net 